

الأرض والسماء والبحار من دلائل عظمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. قال رحمه الله تعالى: حدثنا إبراهيم قال: حدثنا عبيد بن آدم العسقلاني قال: حدثنا أبي عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي رحمه الله تعالى قال: إن الله تبارك وتعالى على العرش حتى أن له أطيطا كأطيط الرجل. قال: حدثنا إبراهيم قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: حدثنا عبد الرحمن بن المبارك عن الصعق بن حزن عن علي بن الحكم عن عثمان بن عمير عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: { قال رجل: يا رسول الله ما المقام المحمود؟ قال: ذلك يوم ينزل الله عز وجل على عرشه فينط به كما ينط الرجل الجديد من تصايقه } . قال: حدثنا أبو يحيى حدثنا قال سلمة قال: حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي قال: حدثنا عنبسة بن سعيد عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: { وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ } ثم اتخذ لنفسه جنة ثم اتخذ دونها أخرى ثم أطبقها بلؤلؤة واحدة قال: ومن دونهما جتان قال: وهذا الذي لا يعلم الخلاق ما فيهما وهي التي قال الله عز وجل: { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ } بأنهم منها كل يوم بجنة. قال: حدثنا محمد بن العباس قال: حدثنا حماد بن الحسن بن عنبسة قال: حدثنا أبو بكر الحنفي قال: حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال: سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن العرش حين كان على الماء على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح. قال: حدثنا محمد بن العباس بن أيوب قال: حدثنا عبد الله بن عمرو بن يزيد قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا بشر بن نمير عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { خلق الله عز وجل الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين وعرضه على الماء، وأهل الجنة أهلها وأهل النار أهلها فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيم العمل؟ قال: يعمل كل قوم لمنازلهم } . قال: حدثنا أحمد بن محمد بن شريح قال: حدثنا محمد بن رافع قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد عن وهب رحمه الله تعالى قال: حملة العرش الذين يحملون لكل ملك منهم أربعة وجوه وأربعة أجنحة جناحان على وجهه من أن ينظر إلى العرش فيصعق، وجناحان يطير بهما، أقدامهم في الثرى والعرش على أكتافهم لكل واحد منهم وجه ثور ووجه أسد ووجه إنسان ووجه نسر. ليس لهم كلام إلا أن يقولوا: قدوس الله القوي ملأت عظمته السماوات والأرض. قال: حدثنا أحمد بن محمد بن شريح قال: حدثنا محمد بن رافع قال: حدثنا إسماعيل قال: حدثني عبد الصمد قال: سمعت وهباً رحمه الله تعالى يقول: إن العرش كان قبل أن يخلق الله السماوات والأرض على الماء فلما أراد أن يخلق السماوات والأرض قبض صفاة الماء قبضة، ثم فتح القبضة فارتفعت دخاناً، ثم قضاها سبع سماوات في يومين ثم أخذ طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحى الأرض فخلق الأقوات في يومين والسماوات في يومين، وخلق الأرض في يومين ثم فرغ من الخلق يوم السابع. قال: حدثنا أحمد بن محمد بن شريح قال: حدثنا إسماعيل بن رافع قال: حدثنا عبد الصمد قال: سمعت وهباً رحمه الله تعالى يقول: إن حزقيل كان فيما سبى يختصر مع دانيال من بيت المقدس فزعم حزقيل أنه كان نائماً على شاطئ الفرات فأتاه ملك وهو نائم فأخذ برأسه فاحتلمه حتى وضعه في خزانة بيت المقدس قال: فرفعت رأسي إلى السماء فإذا السماوات منفرجات دون العرش فبدا لي العرش ومن حوله فنظرت إليهم من تلك الفرجة فإذا العرش؛ إذ نظرت إليه مطلا على السماوات والأرضين وإذا نظرت إلى السماوات والأرضين رأيتهن متعلقات بطن العرش، وإذا الحملة أربعة من الملائكة لكل ملك منهم أربعة وجوه وجه إنسان ووجه نسر ووجه أسد ووجه ثور. فلما أعجبتني ذلك منهم نظرت إلى أقدامهم، فإذا هي في الأرض على عجل تدور بها قال: وإذا ملك قائم بين يدي العرش له ستة أجنحة لها لون كلون وريح لم يزل ذلك مقامه منذ خلق الله عز وجل الخلق إلى أن تقوم الساعة فإذا هو جبريل عليه السلام قال: وإذا ملك أسفل من ذلك أعظم شيء رأيت من الخلق فإذا هو ميكائيل وهو خليفة على ملائكة السماء وإذا ملائكة يطوفون بالعرش منذ خلق الله عز وجل الخلق إلى أن تقوم الساعة يقولون قدوس، قدوس الله القوي ملأت عظمته السماوات والأرض. وإذا ملائكة أسفل من ذلك ولكل ملك منهم ستة أجنحة جناحان يسير وجهه عنه وجناحان يغطي بهما جسده وجناحان يطير بهما وإذا هم ملائكة مقربون، وإذا ملائكة أسفل من ذلك منهم الساجد، ومنهم القائم لم يزالوا كذلك منذ خلق الله عز وجل الخلق إلى أن تقوم الساعة. وإذا ملائكة أسفل من ذلك سجد منذ خلق الله عز وجل الخلق إلى أن ينفخ في الصور. فإذا نفخ في الصور رفعوا رؤوسهم، فإذا نظروا إلى العرش قالوا: سبحانك ما كنا نقدرك حق قدرك ثم رأيت العرش تدلى من تلك الفرجة فكان قدرها، ثم أفضى إلي ما بين السماء والأرض فكان يلي ما بينهما، ثم دخل من باب الرحمة فكان قدره ثم أفضى إلى المسجد فكان قدره، ثم وقع على الصخرة فكان قدرها، ثم قال: يا ابن آدم قال: فصعقت وسمعت صوتاً لم أسمع مثله قط قال: فذهبت أقدّر ذلك الصوت فإذا قدره كعسكرا اجتمعوا فأحبوا بصوت واحد، أو كفته اجتمعت فتدافعت فلفي بعضها بعضاً أو هو أعظم من ذلك. قال حزقيل: فلما أصعبت قال: أنعشوه فإنه ضعيف خلق من ضعف، ثم قال: اذهب إلى قومك فأنت طليعة كطيبة الجيش من دعوته منهم فأجابك واهتدى بهديك فلك مثل أجره، ومن غفلت عنه حتى يموت صلا فليلك مثل وزره ولا يخفف ذلك من أوزارهم شيئاً، ثم عرج بالعرش فاحتلمت حتى رددت إلى شاطئ الفرات فبينما أنا نائم على شاطئ الفرات إذ أتاني ملك فأخذ برأسي فاحتلمني حتى أدخلني جيب بيت المقدس فإذا أنا بحوض ماء لا يجوز قدمي، ثم أفضيت منه إلى الجنة فإذا شجرها على شطوط لغينا ملكاً يقال له: ميكائيل فأقبلني وأخذوا أجوركم وإذا فيه الطلع والينع والقليط قلت: فما لباسها؟ قال: ثياب كنيان الجور تتلفق على أي لون شاء صاحبه قلت: ما أزواجها قال: عرض علي فذهبت لأقبس حسن وجوههن، فإذا هن لو جمع الشمس والقمر كان وجه إحداهن أضوأ منها، وإذا لحم إحداهن لا يوارى عظمتها وإذا عظمتها لا يوارى مخها، وإذا هي إذا نام عنها صاحبها استيقظت وهي بكر قال: فعجبت من ذلك. قال حزقيل فقيل لي أعجب من هذا؟ قلت: ما لي لا أعجب قال: فإنه من أكل من هذه الثمار التي رأيت خلد وإن الأزواج من هذه الأزواج قد انقطع عنهم الهم والحزن قال: ثم أخذ برأسي فردني حيث كنت. قال حزقيل فبينما أنا على شاطئ الفرات أتاني ملك فأخذ برأسي واحتلمني حتى وضعني بقاع من الأرض. قد كانت فيه معركة وإذا فيه عشرة آلاف قتيل قد بددت الطير والسباع لحومهم وفرقت بين أوصالهم فقال لي: إن قوما يزعمون أن من مات منهم أو قتل فقد انفلت مني وذهبت عنه قدرتي فادعهم. قال حزقيل: فدعوتهم، فإذا كل عظم قد أقبل إلى مفصله الذي منه انقطع مع الرجل بصاحبه أعرف من العظم بمفصله الذي فارق حتى أم بعضها بعضاً قال: ثم نبت عليها اللحم ثم نبتت العروق، ثم انبسطت الجلود وأنا أنظر إلى ذلك، ثم قال: ادع أزواجهم قال حزقيل: فدعوتها فإذا كل روح قد أقبل إلى جسده الذي فارق فلما جلسوا سألتهم فيم كنتم؟ قالوا: إنا لما متنا وفارقنا الحياة لغينا ملكاً يقال له: ميكائيل فأقبلنا أعمالكم وخذوا أجوركم كذلك سنتنا فيكم وقيمنا كان قبلكم ومن هو كائن بعدكم. قال: فنظرنا فنظر في أعمالنا فوجدنا نعيد الأوثان فسلط اللود على أجسادنا، وجعلت أرواحنا تتألم وسلط الغم على أرواحنا وجعلت أجسادنا تألم فلم نزل نعذب كذلك حتى دعوتنا. قال: ثم احتلمني فردني حيث كنت. قال: حدثنا الوليد بن أبان قال: حدثنا الحسن بن ليث قال: حدثنا علي بن صالح قال: حدثنا إبراهيم بن خالد قال: حدثنا عمر بن عبد الرحمن سمع وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول إن الله عز وجل فتح السماوات لحزقيل حتى نظر إلى العرش أو كما قال: فقال: سبحانك ما أعظمك. قال: حدثنا أحمد بن محمد بن شريح قال: حدثنا محمد بن رافع قال: حدثنا إسماعيل قال: حدثني عبد الصمد قال: سمعت وهباً رحمه الله تعالى يقول: أصاب ناساً من بني إسرائيل بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم، وقالوا: يا ليتنا قد متنا واسترحنا مما نحن فيه فأوحى الله عز وجل إلى حزقيل أن قومك صاحوا من البلاء، وزعموا أنهم ودوا لو ماتوا واستراحوا، وإي راحة لهم في الموت؟ أبطنون أم لا أقدر على بعثهم بعد الموت؟ فانطلق إلى جبانة كذا وكذا فإن فيها أربعة آلاف قال وهب رحمه الله تعالى: وهم الذين قال الله عز وجل: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَرَّزَ الْمَوْتِ } فقم فناد عليهم وكانت عظمتهم قد نفرت ففرقتها الطير والسباع فنادي حزقيل فقال: أيها العظام: إن الله عز وجل يأمرك أن تتكسي العصب واللقب فتلاصق واشتدت بالعصب واللقب، ثم نادى ثانية حزقيل فقال: أيها العظام: إن الله يأمرك أن تتكسي اللحم فاكتست اللحم وبعد اللحم جلداً فكانت أجساداً، ثم نادى الثالثة فقال: يا أيها الأرواح: إن الله يأمرك أن تعودي إلى أجسادك فقاموا بإذن الله فكبروا تكبيراً رجل واحد. قال: حدثنا الوليد بن أبان قال: حدثنا يعقوب بن سفيان قال: حدثنا أبو صالح قال: حدثني الليث قال: حدثني خالد بن زيد عن سعيد بن أبي هلال أن زيد بن أسلم حدثه عن عطاء بن يسار أنه قال: أتى كعباً يعني رجل وهو في نفر فقال: يا أبا إسحاق حدثني عن الجبار تبارك وتعالى فأعظم القوم فقال كعب دعوا الرجل فإنه إن كان جاهلاً لتعلم، وإن كان عالماً ازداد علماً ثم قال كعب أخبرك أن الله تعالى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن، ثم جعل تبارك وتعالى ما بين كل سماء من السماوات الدنيا والأرض وجعل كتفها مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه فما من السماوات سماء إلا لها أطيط كأطيط الرجل العلفي أول ما يرتجل من ثقل الجبار تبارك وتعالى وتعالى فوقهن قال أبو صالح: العلفي: الجديد يريد. قال: حدثنا الوليد قال: حدثنا الحسن بن ليث قال: حدثنا أبو بكر بن أبي النضر قال: حدثنا أبو أسامة حدثني شريك عن خفيف عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَّقَطُّونَ مِنْ قُوقُوتٍ } قال: ممن فوقهن يعني: الرب تبارك وتعالى. قال: حدثنا الوليد قال: حدثنا العباس الدوري قال: حدثنا عبد الله بن موسى قال: حدثنا إسرائيل عن خفيف عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَّقَطُّونَ مِنْ قُوقُوتٍ } قال: من النقل. قال: حدثنا محمد بن السهل قال: حدثنا سلمة بن شبيب قال: حدثنا إبراهيم بن الحكم قال: حدثنا أبي قال: كنت جالساً مع عكرمة عند منزل يزداد وكان عكرمة نازلاً مع يزداد نحو الساحل فذكروا الذين يغرقون في البحر فقال عكرمة: الحمد لله أن الذين يغرقون في البحر تقتسم لحومهم الحيتان، فلا يبقى معهم شيء إلا العظام تروح فتلقفها الأمواج حتى تلقفها على البر فتصمكت العظام حيناً حتى تصير خالاً نخرة فتمر بها الإبل فتأكلها، ثم تسير الإبل فتعبر، ثم تجيء بعدهم قوم فينزلون منزلاً فيأخذون ذلك العر فيوقدون، ثم تمد تلك النار فتجيء ريح فتلقى ذلك الرماد على الأرض فإذا جاءت النفخة قال الله عز وجل: { فَإِذَا هُمْ يَقَامُونَ } فيخرج أولئك وأهل القبور سواء. قال: حدثنا جعفر بن أحمد بن فارس قال: أخبرنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق قال: أوحى الله عز وجل على لسان أشعيا أن بني إسرائيل يقولون: لو كان الله تبارك وتعالى يقدر على أن يجمع اللفتا لجمعها، ولو كان الله يقدر على أن يفقه قولنا لأفقهها فأعمد إلى عودين يابسين، ثم اثنت ناهم في أجمع ما يكونون فقل للعودين: إن الله تبارك وتعالى يأمركما أن تكونا عوداً واحداً فلما قال لهم ذلك اختلطا فصارا واحداً فقال الله تبارك وتعالى فقل لهم: إني قدرت على أن أفضه العودين اليابسين وعلى أن أولف بينهما. فكيف لا أقدر على أن أجمع أفهتيم؟ هذه الآثار ونحوها تدل على عظمة الله سبحانه وتعالى، فمن عظمته خلق هذه السماوات وخلق هذه الأرض مع عظمتها ومع كثافتها وكبرها الذي نشاهده فهذه الأرض الممتدة كم نبيت فيها من شجر! وكم فيها من الجبال! وكم فيها من البحار! وهذه البحار كم فيها من الدواب ومن الحيتان التي لا يعلم عددها إلا الله! وهذه الأرض كم عليها من الحيوانات التي لا يعلم عددها إلا الله! وكذلك أنواعها وكم عليها من البشر. البشر الذي هو نوع الإنسان نوع الإنسان لا يحصى عددهم إلا الله تعالى. هذه خلق من خلقه سبحانه وهي واحدة من سبع أرضين، فإذا كانت هذه الأرض صغيرة بالنسبة إلى عظمة الله تعالى، فكيف بغيرها. السماوات ذكر الله أنه { خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا } أي: بعضها فوق بعض وفي هذه الأحاديث التي سمعنا أن السماوات مليئة بالخلق.